

النساج الحديدي



يتعلق بمجوات طرابلس
وصيدا . فان الذي
اعرفه ان هاتين المدينتين
قد لعبتا دوراً هاماً في

النضال من اجل قضية الاستقلال وقدمتا تضحيات لا تقبل
نسياً عما قدمته بيروت وبشامون ولا سيما طرابلس . والظاهر
ان حضرة المؤلف قد أرّخ على طريقة من يرى ان تاريخ الأمة
هو تاريخ رجالها الذين وضعهم الزمن في مراكز القيادة . ولما
كانت هذه المراكز في بيروت وبشامون ، فقد حصر جهوده او
اكثرها في هذين المراكز الرئيسيين . اقول ذلك لأنني اعرف
لطرابلس بصورة خاصة مواقفها العنيفة واستجابتها الشديدة
لكل مطلب وطني . فالتاريخ في نظري هو تاريخ الشعب
قبل ان يكون تاريخ الأبطال والقادة . لأن المقصود منه هو
تسجيل العظات والدروس التي يجب ان تعيش بين جوانح
الناس العاديين باكثر مما تكون تخليداً لذكرى بطل او تمجيداً
لجراة زعيم . على ان هذا لا يمنعنا من التمجيد للزعيم
والبطل . وتعقيباً على ذلك احب ان اقرر ان التاريخ صنعة
الناس ، الناس البسطاء الذين اكثر حضرة المؤلف من الاسادة
باخلاقهم الحميدة في حواشي كتابه . فقد ذكر في حاشية
ص ١١٢ « ان من طبيعة القروي اللبناني التفاني والاخلاص في
سبيل المثل العليا . وهو شديد الحساسية ساذج يؤمن بزعمائه
ولا يشك باخلاصهم » . كما اشار الى الرجل الشيخ الذي حمل
مؤونة الشتاء الى بشامون ورجع دون ان يعلن عن اسمه وقد
خلا وطابه ولعله قضى ليله آنذاك جائعاً . وهذه المرأة التي
ارسلت من الدامور كل ما كانت تملكه منتظرة أوبة زوجها
لترسل ثانية ما يتبها لها من المؤونة .

ان الزعماء من الشعب كالعنوان من الموضوع ؛ فلماذا لا
نحرص على دراسة الموضوع اكثر من حرصنا على دراسة
العنوان والاهتمام به ؟

ولا بد لي من ان اثنى على مجهود المؤلف في التصنيف
والتبويب والاحاطة ؛ فقد اوفى على الغاية من هذه الناحية في
حدود ما قدرت واجتهدت .

هذا فيما يتعلق بالموضوع . اما الاسلوب وأقصده به طريقة
المؤلف في استخراج الدروس واستنتاج العظات ، فقد وجدت
فيه مأخذاً اخذته عليه في الكتاب عامة .

هذا كتاب سجل فيه مؤلفه تاريخ معركة ومحاض ولادة .
فكانت المعركة معركة تشرين من سنة ١٩٤٣ وكانت الولادة
ولادة استقلال لبنان من طغيان فرنسا ونقطة تحول في سير
القضية العربية .

قرأت هذا الكتاب في ثلاث جلسات طويلة حاولت خلالها
وبعد الانتهاء من القراءة ان اكون لقرأ «الآداب» رأياً اخرج
فيه بمخالصة ايجابية توضيحية في الموضوع والاسلوب .

واعل من الخير وقد وقفت موقف الناقد من هذا المؤلف
التاريخي ان اسجل في كلمات قليلة وجهة نظري في قيمة التأليف
التاريخي وماهيته تمهيداً للموضوع . في التاريخ تحقيق وتمحيص
ومقارنة وموازنة والحاح في استعمال المقاييس ، ثم تسجيل حواطر
يكون بمثابة الدراسة التوضيحية لمشكلاته وعواملها . اما
الاكتفاء بالتحقيق والتمحيص وما يتبعها دون التوجيه
التوضيحي فهو محو لشخصية المؤرخ واصطناع لموقف لا يساعد
القارئ على اتخاذ رأي ايجابي في الحادث التاريخي وابطاله الذي
صنعه او واكبوه . ومعنى هذا كله ان للمؤرخ شخصية يجب
الاتمحي امام الحادث ، فاذا حدث هذا فقد يسيء ذلك الى
القارئ أو يجعله على الأقل في حيرة من امره لعجزه عن ادراك
العالم النفسي الذي كانت تتفاعل به الأحداث وتؤثر فيه .

وبناء على ذلك ادرس هذا الكتاب من خلال موضوعيته
وأسلوبه . اما الموضوع فقد لا ابالغ اذا قلت بان فيه استقصاءً
تناول به المؤلف الكريم كل حادث دقّ او عظم بالعرض
والتفصيل ولا سيما في حدود الثلاثة عشر يوماً التي شهدت ولادة
الازمة وتطورها بين الفرقاء الثلاثة ، الفرنسيين واللبنانيين
والحلفاء ولا سيما البريطانيين منهم ، ثم شهدت ولادة الاستقلال
وتكريسه رسمياً بتراجع الفرنسيين عن تدابيرهم المسادية .
وقد كنت اتنى على حضرة المؤلف ان يوسع تمهيد
الذي قدم به أزمة تشرين . فقد كانت حديثه عن تاريخ
لبنان الحديث قبل سنة ١٩٤٣ م شديداً الاقتضاب بحيث
ان القارئ يعجز عن وضع حادث الاستقلال موضعه بما قبله ،
كما يعجز عن ادراك الروابط النفسية بين ما سبق من الحوادث
وما لحق . وليس لي كذلك ان اسجل اقتضاباً شديداً فيما

السيف والندى، في موضع الندى فيرجع لكل ذي حق حقه . ولعلي الح على هذا الجانب لأنني اشعر شعوراً قوياً بوقوع الظلم على الجمهور البعيد عن مفاوضات وسياسات ما وراء الكواليس ثم وقوعه على بعض الرجال اللامعين من مثل -رياض الصلح - قالحقيقة ان دور هذا الرجل لم يتضح تماماً خلال هذه الأزمة اتضحاً يحول دون كل لبس . لقد كان المؤلف قادراً على هذا كله لو انه اوضح هذا الجانب الغامض من حوادث الأزمة . كما كان من الممكن ان يظهر دور الجمهور ورجل كرياض الصلح بصورة أقوى ، عملاً بقول الشاعر « والصد يظهر حسنه الصد » في حدود الحوادث التي اوردها في كتابه .

واخيراً يعني ان ألفت نظر المؤلف الكريم الى تعبير كرره في مناسبات كثيرة اعتقد انه لم يعنه ابداً حين استعماله وهو قوله في ص ١٩ « لكن المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية الخ » . فهل هناك « امة سورية » ؟ ثم تكريره لهذا التعبير نفسه مطلقاً على الشعب اللبناني اسم « الامة اللبنانية » . ويقيني ان المؤلف لم يلاحظ هذه الناحية الخطيرة لاسيما وانا اعلم عنه ايمانه بامة واحدة هي الأمة العربية ، وقضية كبرى واحدة هي القضية العربية التي تشمل قضايا لبنان وسوريا والعراق ومصر وغيرها .

والخلاصة ان الاستاذ المؤلف رغم كل ما اورده من مآخذ قد قدم الى المكتبة العربية سفراً نفيساً أرجو ان يفيد القارئ منه علماً وعظة وعبرة . ويكفيه فخراً انني استطعت ان احصي اخطاه وهي فضيلة فلما يتصف بها من يتصدى لتاريخ شعب او يعالج واقع امة .

٢ - وعي المستقبل

للاستاذ قدري حافظ طوقان

دار العلم للملايين ، بيروت ، ٨٨ صفحة

مجموعة من مقالات ، بل قل مجموعة من كلمات قصيرة ، ما فيها اقرب الى ان يكون خواطر سريعة تمس الموضوع مساً رقيقاً متبهيماً منه الى ان يكون افكاراً مجردة معمقة وشاملة ولعلي لا استثنى من هذا الوصف غير فصل (نحن والانكليز) . وقد كنت احب لحضرة المؤلف ان يقتصر على ما جود من الفصول ويحذف الفصول والزوائد . ولكن للواقع ان حظ

لقد ذكرت آنفاً ان مهمة المؤرخ لا تقتصر على عرض الأحداث وتمحيصها بل تتجاوز الى ما وراء ذلك . انها مهمة القاضي او الحكم يصدر حكمه دون تردد او مجاملة . والظاهر ان المؤلف قد آثر السلامة فأعرض عن اصدار الحكم في كثير من المناسبات ، اللهم غير تعليقات قصيرة الحقها بمؤلفه في بعض الحواشي . وقد عرض الحوادث بطريقة تعفيه من اصدار الاحكام فبقي قارئه في غفلة عن حقيقة ما يعتلج في نفوس كثير من الزعماء والنواب والمسؤولين . والمثل على ذلك مبلغ المائة والعشرين الف ليرة التي جمعها المؤتمر الوطني . فقد اشعرنا المؤلف ان الطرق التي استعملت في صرف الأموال لم تخل من بعزقة وتبذير ، وقد علل وقوفه عند هذا الحد بضنه بكرامة البلاد . وظني ان كرامة البلاد تفرض عليه ان يضع النقاط على الحروف فيتهم من هو موضع التهمة ، ويعرض بكرامة من يجب ان تعرض كرامته للتهتك والفضيحة صوناً لمصلحة الجماهير وتوكيداً للعظة والعبرة .

ثم وصف في اقتضاب شديد مخجل انهيار اعصاب بعض أعضاء حكومة بشامون اثر هجوم الجيش الفرنسي وذكر ميلهم الى الهرب مستعينين بالبريطانيين ، مما يجيل للقارئ انهم كانوا سيهربون حقاً لولا رفض البريطانيين والخاصهم عليهم بالبقاء في اماكنهم . فهل يعني ذلك ان الثورة وجلد الوزراء والنواب مسرحية ألقها وأخرجها واشرف على انتاجها البريطانيون ؟ وما هي حصة هؤلاء الزعماء من توتر الايمان وصلابة العزيمة ؟ لقد كنت احب ان يوضح حضرة المؤلف هذا الجانب ليتبين لكل ذي عينين نصيب الجمهور من النضال المخلص ونصيب بعض القادة من النضال المخرج على طريقة هوليدو وستوديوها مصر .

هذه جوانب لا تنجلي الا إذا وضعنا السيف في موضع

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

اكبر مجموعة من الكتب العربية والفرنسية

من ادبية وسياسية واجتماعية .

تليفون ٧٧ - ١٦

الكتاب من هذه الزوائد الفكرية فوق حظه من التفكير الشامل المنظم .

ففي كتابه فصول لا يتجاوز عدد صفحات الواحد منها اربعاً من القطع الصغير او اقل او اكثر قليلاً (الشعور بالنقص، الشعور بالعدالة، مركب الوهم، الانانية الطاغية الخ) . أضف إلى ذلك انني وقعت خلال قراءتي للكتاب على غموض وتناقض

اما الغموض فهو في دور العلم والروح العلمية اللذين أغرق الكاتب إنغرافاً شديداً في مدحها وجعلها وسيلتين وحيدتين لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والنفسية والمادية . والظاهر انني اختلف مع المؤلف في تحديد ماهية العلم وقيمه من الناحيتين الخلقية والانسانية .

فالعلم في نظري مجموعة قوانين نكتشف بها العلاقات الجبرية الدائمة بين الحوادث الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية وغيرها اما غايته المباشرة فهي استخدام قوى الطبيعة واكتشاف اسرار جهازها المعقد المتشابه الحطوط والجوانب . واما الخدمة التي قدمها العلم حتى اليوم فهي تحسين شروط الحياة المادية وإحداث اساليب ووسائل فنية استطاع الانسان بها توفير البيت المريح والسرعة العجيبة والثروات الخيالية التي كانت في نظر اجدادنا حاملاً من احلام الف ليلة وليلة .

اما ان يكون العلم وسيلة الى ايجاد نهضة روحية ورفع المستوى الخلقى وتحقيق الاستقرار الاجتماعي بين مختلف الطبقات والامم وإشاعة السلام والحب بين الناس ، فهذا شيء لم أدركه حتى الآن . وظني انني اسأل العلم ما ليس من حقي ان اسأله إياه عندما انتظر منه ان يوجد تعديلاً اساسياً في القيم الاخلاقية والروحية في حركة تصاعديّة شاملة .

ولو صح رأي المؤلف لوجب ان تكون اوربا واميركا اليوم بلاد الحب والسلام والامن ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك . ان الاوربيين اليوم يجتازون اخطر مرحلة من مراحل حضارتهم . فهم في حالة صراع اجتماعي مخيف تتناهم الأحقاد وينتاشهم سوء الظن والحذر ويقض مضاجعهم تكالب على الدنيا وشهوات استعمار الى جانب الخوف والقلق على مستقبلهم الغامض، هذا القلق الذي يبرز في الاستعداد الحربي وتجنيد قوى الأمم لملاقاة العدو او القضاء عليه . فأين هي آثار العلم وحسناته في رفع المستوى الروحي وتحقيق احلام الناس وتطلعهم الى

السلام والمحبة والطمأنينة ؟ وتخصرنني في هذه المناسبة كلمة لأحد الفرنسيين حاول فيها تحديد قيمة ما أنجبه العقل الانساني في حقل العلم قال : « لقد استطاعت العلوم وما نتج عنها من مخترعات ، ان تجعل الانسان المهتماً قبل ان توفر له عناصر الانسان » . انها كلمة اصابت المحزّ وتناولت المفصل . فالعلم يا سيدي المؤلف امكانيات مادية ضخمة ولكنها عمياء لأنها تفقد الحس بالقيم الاخلاقية وتقدير المثل الانسانية العليا .

اما الذي دفع حضرة المؤلف الى مثل ما اندفع اليه فهو في نظري حالة الانشده التي اصيب بها المواطن العربي عندما قارن بين تاريخه القريب وما فيه من رجعية وضعف وفقر، وبين اوربا العملاقة بمدافعها وطياراتها ومعاملها . فظن القوة كل القوة في المعامل فقط، والضعف كل الضعف في تاريخه فقط . ولذلك حاول ان يرمي التاريخ وينكر له ويتراعى على علم الغرب ومخترعانه معتقداً ان خلاصه هو في بناء المعامل وشحن السلاح . ناسياً ان المقاتل لا يحتاج فقط الى السيف يحمله والقبلة يلقيها ويفجرها، بل هو في حاجة اشد الى الساعد والقلب الجريء والرسالة التي يجب ان يكافح من اجلها، وهذه كلها لا يكونها العلم ، بل يحدثها انقلاب نفسي روحي يرتكز الى قاعدة هي ابعد مما تكون عما يسمى بالاسلوب العلمي . انها روح التضحية والايمان بمثل اعلى ثم روح المغامرة التي تكونها تربية موجهة وشيء آخر لا استطاع تحديد ماهيته هو عنصر المجهول ، هذا المجهول الذي ييقظته في اعماق ذواتنا يجعل من القلة كثرة ومن الضعف قوة ومن التنازع والتفسخ اتحاداً وتفاهماً . ولعل إحياء التاريخ ، تاريخ امتنا ، هو الوسيلة الوحيدة للايمان بانفسنا واكتشاف قدراتنا الكامنة على انتزاع حقنا في الحياة والحرية والسعادة . هذا فيما يتعلق بماهية العلم وامكانياته في ايجاد حركة اخلاقية نفسية صاعدة .

اما التناقض الذي وقع فيه حضرة المؤلف فهو مشاهد فيما كتبه عن الانكليز والأميركان وما سجله في كلماته الاولى عن قيمة العلم وماهيته . فبينما هو في اول كتابه يمدح العلم ويرفع من شأنه إذا به في فصل (نحن والانكليز) يقرر ان النفعية هي التاعدة الاخلاقية التي تدفع البريطانيين الى حل مشكلاتهم مع الناس . وقد غرب عن باله ان النفعية اي الانتفاع غاية العلم ، فاذا حولنا ماهية العلم ، وهو ما فعله البريطانيون وما يطالبنا المؤلف به ، إلى قاعدة اخلاقية نفسية فقد شاركنا البريطانيين في

جرائمهم وأنانيتهم الطاغية. واما في فصله (اميركا في دنيا المبادئ والاخلاق) فيقع في المشكلة نفسها .

وقد كنت احب ان افضل القول في هذا الموضوع ولكن صفحات الآداب لا تتسع لمثل هذا التفصيل . لذلك أخص الموضوع فيما يلي :

ان المعضلة التي عجز المؤلف عن حلها هي معضلة الفصل بين المعرفة والأخلاق وبين القوة والواجب . فالعلم معرفة وغايته توفير اسباب القوة ، اما الطمأنينة الروحية والتطلع إلى السلام والمحبة فشكلتان اخلاقيتان نفسيتان تحتاجان الى وعي الواجب والايان به والحفاظ عليه . والفصل بين هذين الجانبين لا يتحقق الا بالخروج من حالة الانشده والشعور بالضعف امام الغربيين ثم بعدم التأثر بهذه العلاقات المادية الغربية التي تبعث الخوف والصغار وروح التبعية في نفوس العرب . وليس خيراً من خالد ابن الوليد قائداً عرف كيف يميز بين هذين الجانبين . فقد قال لأحدهم وهو يظهر خوفه من الرومانيين في معركة اليرموك : انما يكثر الجنود بالنصر ويقولون بالخذلان . قال خالد هذا بعد ان أعدت ما استطاع من قوة اربابا لعدو الله وعدوه . وبذلك جمع بين مطالب العلم ومقتضيات الرسالة وروح البطولة والايان بالواجب . ولأعد بالقارئ الى فصل «نحن والانكليز» . انه فصل يشهد للمؤلف بالجرأة والايان والذاتية المتوثبة . كما انه يصلح لأن يكون رسالة قائمة بذاتها تشيع في نفوس القراء جواً من الحماسة وتساعد على حل كثير من المعضلات السياسية والنفسية التي تعترض طريق العرب بصورة عامة والاردنيين بصورة عامة . لقد قضى المؤلف على اسطورة الخلق البريطاني الذي كان فيما مضى مضر بالامثال ، وأبرز قيمة المساعدة التي يقدمها البريطانيون الى الجيش الاردني ، ولم يأل جهداً في نقض المعاهدة وتسفيها . وان انس لا انس فصوله الاخيرة التي عالج فيها قضية الكيان الاردني فكان صريحاً وجريئاً . ويكفيه فخراً — وهو يعيش في جو لا يحسد عليه — انه حدد المشكلة ووضعها بين ايدي الناس في خطوطها العريضة كما ذكر .

ويسرني في هذه المناسبة ان ادعو رجال الفكر ورواد القضية العربية ان يتشبهوا بالاستاذ طوقان في صراحتة التي تناول بها اخطر ناحية من نواحي حياتنا العامة ، ناحية الكيانات وقيمتها وقدرتها على مقاومة الاحداث .

رمضان لاوند

المشرد

شعر للاستاذ ابي سلمى (عبد الكويم الكرومي)

مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق - ١١٤ ص

ليس اسم الشاعر العربي الكبير ابي سلمى بغريب على قراء العربية ، بل ليس غريباً على الاجيال العربية الصاعدة التي تقدر النضال المتصل ، والتضحية المستمرة ، ومكافحة الاستعمار اينما كان .. فأبو سلمى لم يقض في وطنه فلسطين ربع ما قضاه في النفي والتشريد والاضطهاد .. وكانت اشعاره انجيل المناضلين وقرآتهم .. يهزجون بها بين روابي القدس .. ويستشعرون حميها في ميادين الكفاح والثورة . وكان ديوانه الضخم ينتظر الطبع ، يوم ان وقعت النكبة ، فضاع بين ما ضاع من اعلاق النفائس التي ضاعت في وطن التراب الخضب .

وخرج ابو سلمى من فلسطين وهو يتلفت الى الوراء ... وفي عينيه دمعة الجريح ، وفي قلبه ثورة المؤمن بان الشعوب ستعرف يوماً كيف تنتقم من الحونة .. الحونة الذين ضيعوا فلسطين وكانوا أداة في يد المستعمر يديرها كيف يشاء :

من يلبي النداء يطلب ثأراً ودماً ضائعاً وحقاً سلباً ؟
أرجال ؟ اين الرجولة لما زحفوا يلثون تلك الدروبا
أيها الناسجون آلام شعب كيف تجلونها رداء قشيبا
قل لمن يرفعون في كل قطر علماً خافق الجناح عجبياً
عربيّ السياء يبدو ولكن وراء السياء وجها غريباً
حكمو باسمه الشعوب وسادوا فأضلّوا باسم الشعوب الشعوبا
ذهّبوا النير والقيود وتاهوا من تراه يحولنا التذهيبا ؟
ودعوا باسمنا فكنا الضحايا وأرونا التشريد والتعذيبا
دول كالدّمى تمثل دوراً رسموه لها وفصلاً مريباً
تتشنى على المسارح والميسمُ يشوي وجوها والجنوبا
وديوان المشرد الجديد هو ما أحسّه أبو سلمى بعد النكبة
الفادحة .. مجموعة شعرية فريدة .. تعبق منها رائحة ارض
فلسطين الحيرة .. وتتلظى من ابياتها ثورة ابنائها الميامين على
الذئاب والحونة

تمر قوافل الأيام تروي مؤامرة الأعادي والصحاب
سعدنا في البلاد وحين سادوا غدت مرعى الثعالب والذئاب
إذا كانت قلوبهم سواداً فهل تجديهم بيض الثياب ؟

وهل يكفهم هب القوافي وهل بعد الحيانة من سباب؟
ثم يلتفت الى جنته فلسطين فيتذكر فيها ملاعب صباه ..
وبيته الصغير الحبيب ، والتينة الخضراء التي ترضع من ارضه في
قصيدته الرائعة « اداري » :

هل تسألين النجم عن داري وابن احبائي وسماري ؟
داري التي اغقت على ربوةٍ حاملةٍ بالجد والغار
تفتح الزهر على خدها فغطرت ايام آذار
الشمس لا تضحك إلا لها تهدي إليها وشي أستار
والتينة الخضراء في ظلها تاريخ أشواق وآثاري
ملعبنا يوم رفيف المنى وملتقى الجارة بالجار
والعين خلف الدار في المنحنى تروي حكاياتي واخباري
درب الصبايا لو تنورته مهوى صبايات واسرار
حام على انفاسهن الهوى ما بين مشوار ومشوار
الأمل الحلو على رجبه يعقد في اطراف زنار
والكرم ما أرحم افياء احلام عشاق واطيار
من عرق الفلاح انداؤه أكرم من ظلٍ وامطار
والبيدر السمح على صدره حبّات اكباد وابصار
اغنية الراعي وراء الربي منشورة في الافق العاري
يا عجباً للحب! ملء الدنيا بوح في انعام زممار
داري لئن لم يبكها جاحدٌ فالعالم الحر بكى داري
ولكن أباسلمى يؤمن بالشعب .. ويؤمن انه الحرر الاول
والاخير ، وانه رغم تكالب الاستعمار والحيانة والفساد
سينتفض انتفاضة الحرية ويقم العالم الجديد المبني على العدالة
والمساواة :

يا ايها الشعب المهدى قل لي بربك كيف تهدي
يتدفق العذب الزلال فيرتوت وأنت تصدى
تكسوم حُلل الربيع وينكرون عليك بردا
أهلاً بأحرار البلاد يجاربون من استبدًا
'حمر' الصحائف سطورها باللظى بنداً فبندا
لم يعرفوا كيف المبادئ تشتري عدداً ونقدا
هذي السواعد والمناجل تحصد الظلام حصدا
وتحرّر الانسان حتى لا ترى في الكون عبدا
ويصرخ ابو سلمى الصرخة الأخيرة بأن الحق سينتصر وان
يوماً قريباً سيأتي وسيعود المشرّد إلى وطنه مع اعلام الحرية
فيقول في آخر قصيدة في المشرّد عنوانها «سعود» :

فلسطين الحبيبة كيف أحيأ بعيداً عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات وفي الآفاق آثار الحضاب
تناديني الشواطئ باكيات وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مدائنك اليتامى تناديني قراك مع القباب
ويسألني الرفاق ألا لقاء وهل من عودة بعد الغياب
أجل سنقبل التراب المندى وفوق شفاها حمر الرغاب
غداً سنعود والاجيال تصغي إلى وقع الخطى عند الاياب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الاسنة والحراب
ونحن الناثرين بكل أرض سنصهر باللظى نير الرقاب
تذيب القلب رنة كل قيد ويجرح في الجوانح كل ناب
أجل ستعود آلاف الضحايا ضحايا الظلم تفتح كل باب
وبعد ... فلن استطيع ان أقدم لك الديوان إلا
إذا نقلته كله .. فكله هب ونار، وما أحرى الشباب العربي بأن
يقرأ مثل هذا الديوان في هذه الفترة من تاريخه ، وما أحرى هذا
الديوان ان يدخل كل بيت عربي .

سعيد حورانية

(من رابطة الكتاب السوريين)



كفر

مجموعة قصصية لنبيل شحاده خوري

١٤٤ صفحة من القطع الصغير ، مطبعة عز الدين ، بيروت

« هو ذا اديب قصصي » ايضاً ؛ اديب فلسطيني ناشيء يظهر
فجأة على المسرح ليقدف من قلمه عصارة آلام الشعب ،
وليستمد من مأساة وطنه أروع ما يمكن ان يتمخض عنه خيال
قصصي .

لست اعرف نبيل خوري - كما انني لا اعرف سليمان
العيسى ايضاً - ولكنني اعلم انه شاب لم يمس على إنهائه الدراسة
الثانوية سوى عامين . ولكنه في مجموعته القصصية الصغيرة اديب
مكتمل النضج القصصي ، مكتمل الوعي الشعبي ، يعرف ان
الادب ابن الحياة ، وابن المجتمع ؛ ولذلك يكتب بروح الشعب
وبروح المجتمع ، وقد روى قلمه من النقمة على المجرمين والخنوة
من ابناء امته ، او من سادتهم الساخرين من مصائبهم ؛ لقد

روى قلمه من « الكفر » هؤلاء الخونة المجرمين أصحاب
مأساة وطنه فلسطين .

في هذه المجموعة الصغيرة سبع أفاصيص ، كلها من صميم
الواقع ، ومن صميم المأساة ، وهي : (لحن لم يتم - مجتمع -
رسالة مجنون - هذا الشعب - نساء في حياته - ارامكو -
شبح الماضي) . ويكفي ان تقرأ هذه العناوين لتعرف اي
نوع من الأدب وراء كل عنوان ، ولتعلم انك ستسير مع
المؤلف الشاب في مأسى وفواجع من صميم نكبة الأمة العربية
وانك ستشعر بان هذا الادب هو « من الشعب ، وللشعب » .
ولست اريد ان افاضل بين هذه الافاصيص ، فكلمها قوية ،
وكلمها رائعة . ولكنني اقف اولاً عند « هذا الشعب » . انها
قصة الزعامة العربية : الزعامة التي تبدأ مخلصاً مؤمنة ، حتى إذا
وصل صاحبها الى الكرسي على اكتاف الشعب كفر بإيمانه
القومي ، ومبادئه الوطنية ، وكفر بالشعب الذي رفعه ، ولم
يعدهم سوى الكرسي .. سوى المنصب والجاه ، وهتافات
الجاهل ورعونات الصحف !

ما اصدقها صورة نرى فيها وجوه زعماء الأمة العربية
التقليديين .. انها صورة الرجال الثرثارين الذين اعتادوا ان
يتاجروا بالمبادئ على حساب غفلة الشعب المسكين الذي يلقي
اليهم زمامه مخلصاً ، فلا يكافئونه بغير العقوق والاحتقار ، أو
« بالخيانة » .. كما وقع في مأساة فلسطين .

وما اجدرنا بان نقول هؤلاء جميعهم ما قالته زوجة الزعيم
في قصة « هذا الشعب » لزوجها : « انك دُست على مبادئك ،
واصبحت لا تفكر الا بالاسم العريض والممتاز ... ككفرت
بالشعب الذي كنت تؤمن به ، واصبحت لا ترقص الا
على اسنائه وهو يئن ويتوجع .. رفعك من الحضيض ، فأنزله
الى الحضيض » .

وما اكثر عندنا .. هؤلاء الذين يبدأون بتاريخ حافل
بالمفاخر .. يجاهدون ويسجنون ، ويعيشون في المنافي والمعتقلات
في سبيل الشعب .. ثم ينتهون وقد ملأوا تاريخهم بالجن والندالة ،
ولوثوا بيجينهم وندالتهم تاريخ هذه الامة .. واذا كانت لعنة
الشعب قد دحرجت بعضهم عن عروشهم وعصفت بسلاطنتهم ،
فما زال البعض الآخر ينتظر دوره من هذه اللعنة التي لا تحيب .
اما قصة « شبح الماضي » فهي قصة الفلاح المؤمن بحقه وبارضه
وبوطنه . قصة الحياة التعاونية الاشتراكية الجميلة في القرية .

قصة القروي الذي لا تلبث المدينة ان تذهب بصفاء نفسه - الى
حين - ثم اذا به يعود ليكفر عن آثامه بدمه في ساحة الجهاد .
هي قصة كل قرية فلسطينية اشتركت في الجهاد ، فكانت شريفة
مخلصة نبيلة في كفاحها وفي سقوطها .

ولا يتسع المجال لأتحدث عن (ارامكو - ولحن لم يتم -
رسالة مجنون) ولكنني وانا لا املك نفسي من الاعجاب بهذه
المجموعة الصغيرة في حجمها ، الكبيرة بقيمتها ، أود ان اقولها
كلمة صادقة مخلصه لصاحب المجموعة :

يا اخي نبيل ،

دعني اصفحك بمجراة ، فانك - وأنت الناشيء الذي يضع
قدمه لأول مرة على عتبة الحياة الادبية - لأعظم في نفسي من
الكثيرين من اكبر كتاب القصة العربية . انك من هذا الشعب
وانك تكتب لهذا الشعب ، وانك لتصور واقع هذا الشعب ،
وروح هذا الشعب ، وانك اذن تكتب ادب الشعب ، الادب
الذي له الخلود . اما اولئك الذين خلع عليهم بعض الناس القاب
(امرء القصة - وامراء النثر - وامراء الشعر - وامراء البيان)
فقد كفرت بهم فوق كفرهم بصدق الزعامات العربية واخلاصها .
انهم لم ينالوا هذه الالقاب الفخية - القاب الامارة الفارغة -
الا لأن بعض المداحين والمنافقين قد نظروا اليهم من خلال
المنصب والمادة ، متذرعين بما يطيب لهم تسميته « بالفن » ، ولم
ينظروا الى انتاجهم بروح الشعب . وشتان ما بين « زيف
المنصب » او « بهرج الفن » ، و « واقع الشعب وأصالة ادبه » .

عيسى الناعوري

عمان - الاردن

صاحب مجلة « القلم الجديد »



الحركات في لبنان

إلى عهد المتصرفية

المكتبة الاهلية ، بيروت - ٢٥٦ ص

في تاريخ كل أمة حلقات مفقودة ، وأساطير مكذوبة ، لا
يسع طالب الحقيقة إلا ان يقف امام الاولى باحثاً مفكراً ، لا
يفرض ويستنبط وقد يصيب وقد يخطيء ، ولكنه على كل حال
يرى نفسه مضطراً الى ان يسلك طريق الفرض والاحتمال
ارضاء للبحث العلمي ، ورغبة في الوصول الى الحقيقة التي

ينشدها . وقد يمر بالثانية مشفقاً او ساخراً او محاولاً نقدها بما يصل اليه بمجوده من دراسات وابحاث .

وللمؤرخ عذره في ان يقف من هذه وتلك مواقف قد تثير الاشفاق او القلق . على انه ثمة ناحية اهم من هذه وتلك يقف امامها موقف الدهشة والريبة . تلك هي الحقيقة التي يعرفها الكثيرون ولا يجروء على التصريح بها احد . وما اكثر ما طمس من معالم التاريخ ، وضاع من حقائقه امام نزوات الهوى وشهوات الغرض .

تلك مقدمة صريحة أملتها عليّ نظرتي في كتاب (الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية) . وهو كتاب نشره الاستاذ عارف ابو شقرا احد اساتذة اللغة العربية والادب في كلية المقاصد ببيروت . وألفه والده المرحوم يوسف خطار ابو شقرا مستمداً روايته من نسبه المرحوم حسين غضبان ابو شقرا .

والكتاب يؤرخ لفترة من الفترات المهمة في تاريخ لبنان كثرت فيها الفتن وطوحت فيها الحركات الداخلية برؤوس وأظهرت على مسرح تاريخه شخصيات كانت لها آثارها في توجيه سياسته ، وقيادة دفة الحكم فيه وتعرض فيها لهزات عواصف ثلاث كان لأحداثها أثر بارز في تاريخه . تلك هي الحقبة التي تبدأ بولاية الامير بشير الشهابي، وتنتهي بعهد المتصرفية ومتصرفها الاول داود باشا [١٧٨٧ - ١٨٦٨ م] وهو يكاد يحصر اهتمامه في تصوير حوادث الفوضى بين الاسر الاقطاعية في اقليم الشوف ، واسباب تلك الفوضى ونتائجها وتبعاتها والشخصيات التي لعبت ادوارها في حقبة تبلغ ثمانين عاماً من عمر لبنان كان فيها مسرحاً لقلقل وفتن ذات بال .

ولقد تهيأت لراويها فرصة الوصول إلى تلك المعلومات من مصادرها الاولى ، حين عمل في قصور ثلاثة من ابطال تلك الحركات نصف قرن من الزمن ، كان فيها مقرباً الى النفوس محبباً الى القلوب لما فطر عليه من كياسة ولباقة وحسن تصرف . وساعده ذلك على ان يسمع ما لم تسمعه آذان الناس ويرى ما لم تره عيونهم فكان شاهد عيان لمعظم ما روى ولا ينبئك مثل خبير .

على ان مما يسترعي النظر ان المثلث الذي دفع بهذا الكتاب الى زاوية التاريخ في المكتبة العربية (اعني : الراوي والمؤلف والمناشر) مثلت درزي يجعل لهذا الكتاب قيمة خاصة في نظر التاريخ لأنه كما جاء في صدر الكتاب : « شهادة درزية

صريحة تلم بحوادث لبنان واحواله ، يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ، ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان . » فهو إذآ - كما جاء في تقديم الكتاب - « يحفظ لنا وجهة نظر معينة قلما نجدتها في غيره من التواريخ ؛ هي وجهة نظر رجل لبناني درزي من وجوه عماطور في الحركات الثلاث الكبرى التي هزت لبنان من اقصاده الى اقصاده في منتصف القرن الماضي » . وميزة الكتاب فوق كل ذلك انه يصور الحوادث تصويراً شعبياً صريحاً جريئاً ، لا اثر فيه لزخرف الباطل او سوء النية ويخص الاسر الدرزية بالجانب الاكبر من اهتمامه حتى ليكاد يكون سجلاً لشخصياتها وقاموساً لرجالها . بل انه ليكاد يكون تاريخاً لما اغفله التاريخ من أمر هذه الطائفة .

اما جرأته وصراحته فلا أدل عليها من مهاجمته لسياسة الامير بشير الذي يرى انها جرت على لبنان كثيراً من المصائب بل جرت عليه هو نفسه الولايات والكوارث . واسلمته آخر الأمر اسيراً ليد اعدائه لأنه كان كما يصفه : « فيه ما فيه من ضعف الرأي [وركاكة] الحزم » . ويصف ما جيل عليه من اضطراب الطبع وخداع الغدر، ويروي له حوادث لطخ بها الامير صفحة تاريخه، ويميط اللثام عن مؤامراته ودسائسه فيجرده من ثوب رباثة الذي تقنع به ردهاً من الدهر فيظهره على حقيقته امام عين التاريخ .

والكتاب يشيد ببطولة الدروز الحربية ويمجد فيهم الشجاعة والجرأة والتفاني في سبيل العزة والاباء ، والثأر للكرامة ، وحسبه ان يؤيد ذلك بشهادة منازلهم .

عبد الحميد الدسوقي



خطرات

للدكتور محمد مهدي البصير

الدكتور محمد مهدي البصير في طبعة ادبائنا الكبار ، وقد دأب منذ عودته من اوربا على إتخاف المكتبة العربية بدراسات قيّمة في الادب العربي تكشف عن دقة في البحث وعمق في التفكير وسعة في الاطلاع . ومن المؤسف ان يبلغ الركود بالحركة الأدبية في العراق حداً يجعل امثال كتب الدكتور البصير تظهر الى الوجود من دون ان يكلف الباحثون

والنقد انفسهم غناء دراستها وبحجتها ومناقشة آرائها الجديدة . ولكن هذا هو حال الادب في العراق خاصة ، وفي البلاد العربية عامة ، فمن المستبعد ان يثير هم النقاد والكتاب كتاب جيد فيتصدوا للكتابة عنه في الصحف والمجلات كأن في هذا العمل إضاعة لوقتهم . وهكذا يجد الكاتب نفسه مفلساً من الربح المادي والمعنوي ، وليس له من عزاء سوى حبه الذاتي للأدب وارتياحه في خدمته والاحلاص له .

ومن الامثلة الواضحة على هذه الحالة السيئة كتاب « خطرات » ، فمع ان شخصية مؤلفة تستحق تتبع آثارها ، ومع ان الكتاب نفسه يضم الكثير من الآراء التي تتطلب العرض والنقاش ، ومع ان أسلوبه يعتبر جديداً على الأدب العربي ، الا ان النقاد لم يستقبلوه بالحماسة التي يستأهلها ، ولم تظهر عنه الا مقالات قصيرة لا تكاد تعرفه الى القراء تعريفاً صحيحاً . والحق ان هذا الكتاب يستحق دراسة طويلة لما تفيض به صحائفه من آراء قيّمة في شتى شؤون الحياة . فقد قسمه المؤلف الى ابواب عدة احدها « السياسيات » والآخر « الاجتماعيات » والثالث « الادبيات » وقد ضم كل منها عبارات موجزة تعبر كل واحدة منها عن رأيه في ناحية من تلك النواحي ، وتعمّض كل عبارة عن مقال كامل . ولا يتسع لي المجال الآن لاستعراض آراء الابواب جميعها فان ذلك يقتضي حديثاً طويلاً يضيق به المقام ، لذلك سأقصر حديثي على باب « السياسيات » .

ولا إخال احداً من القراء يستغرب إقدام الدكتور البصير لستاذ الادب في دار المعلمين العالية على تسجيل آرائه في الحياة السياسية ، فكل متابع لتاريخ العراق الحديث يعلم حق العلم انه كان في صدر شبابه من رجال السياسة البارزين قبل ان يكون من فرسان الادب المبرزين ، ويقدر تمام التقدير مساهمته الفعالة في الثورة العراقية وإخلاصها وتفانيه فيها . فقد حكم عليه بالاعدام ، ثم استبدل الحكم بالنفي والسجن . وعندما بدأ الحكم الوطني خاض الحياة السياسية باخلاص ونشاط ، فاشترك في تأليف الحزب الوطني مع المرحوم جعفر ابي التمن وبعض الوطنيين الآخرين ، وظل يجاهد لخدمة الوطن والشعب حتى اعتزل الحياة السياسية وهو نظيف اليد رافع الرأس ليس لاحد عليه مطعن ، بينما انساق الكثير من زملائه فيما بعد وراء مصالحهم الشخصية وجرحهم ذلك الى السير في ركاب المستعمر .

ويعود البصير في هذا الكتاب الى إعلان آرائه السياسية

التي تدعو الى التثبيت بالعدل والزهادة والوطنية ، والى محاربة الاستعمار . فهو يقول مثلاً : « لا يتوطد السلام والاستعباد بعض دعائه » . ويقول في مكان آخر : « من حسن حظ البلاد المفتوحة سوء ظنها بالفتاح وإن عدل ، لان هذا إذا عدل ففي ما لا يناقض مصلحته الاستعمارية التي هي في حد ذاتها ظلم فاحش » . ويهزأ الدكتور البصير من الاستعمار بهذه العبارة الساخرة : « احسن ما في الاستعمار دفعه البلدان المستعمرة الى مقاومته » كما لا يفوته ان يخلص اذئاب الاستعمار باحدى عباراته ، فيقول : « في ثقة المستعمرين باحد ابناء المستعمرة ما يجوز الشك بل يستوجه في وطنيته وكفايته على السواء » .

وللاسف ان المجال لا يتسع في هذه العجالة ليراد العبارات القوية النفاذة الاخرى التي تضمنها باب « السياسات » إذ يحتوي على مائتين وخمسة وخمسين عبارة ، كل منها تناقش بايجاز رأياً من الآراء أو تقرر حالة من الحالات او توضح حقيقة من الحقائق . والواقع انني لم اختر منها سوى القليل الذي يصور بعض الجوانب من وضعنا السياسي تصويراً صادقاً جريئاً . ولكنني لن اختم كلمتي عن كتاب « خطرات » قبل ان اقطف من الباب المذكور بعض العبارات الرائعة . ومنها : « لا تتمتع الحكومة بعطف الشعب إلا إذا كانت منه وله » . و « لا ادري كيف يدبر امور الناس قوم عجزوا عن تدبير امورهم » . و « يجب المرء وطنه ما يسر له ثلاثة : الرزق والعدالة والجمال » . و « من لم يؤد واجبه نحو وطنه كان عوناً لأعدائه عليه » . و « بثست الوطنية تلك التي تبدأ حماساً ملتتهبة وتنتهي اناية جاححة مرآثة » . و « من الصعب جداً ان يفلح شعب لا يعمل افراده لمصلحته الا بقدر ما تقتضي دعايتهم لأنفسهم » . و « ليس هناك على وجه الارض شعب أجدر بالحياة من ذلك الذي يدرك منفعتة وينتخب حكامه انتخاباً تتجلى فيه يقظته وهيمنته الكاملة على شؤونه ومصالحه » . و « لا قيمة لمعارضة لا يؤيدها الشعب » . و « اذا فشلت المعارضة المخلصة في الاستيلاء على الحكم عن طريق الكثرة البرلمانية لم تفشل في الاستيلاء على ثقة الجمهور الذي لا يبعد ان يقودها الى دست الحكم » .

هذه بعض العبارات الجريئة الصادقة التي لم استطع ان اتغاضي عن ايرادها ، وهي ليست بافضل ما احتواه الكتاب . والحق ان الدكتور البصير اضاف بكتابه هذا ثروة وافرة اخرى الى ثرواته السابقة .

شاكر خصباك

بغداد